المعلاة

الغلاص

كانت المتكلمة من البوسنة .. امرأة صوتها يتهدج من بين الدموع :

زوجى وأولادى قتلوا .. واخوتى تشردوا .. وجيرانى أودعوا المعتقلات .. وبيوتنا أصبحت كومــة تراب .. فى الحر القاتل لا نجد الماء وفى البرد الصقيع لا نجــد المأوى .. نغتصب وتهتك أعراضنــا ونقتل جوعــا وتمزق الشظايــا أجســادنا .. تسعــة عشر شهــرا من الجحيم والــرعب المستمر .. والســلاح ممنوع عنا حتى لا ندافع عن أنفسنا بينما هــو مبذول بكثرة لأعدائناليفعلوا بنا ما يشاءون .. لا أحد يسأل عنا .. خذلنا الجميع ولم يبق لنا إلا الله ..

نبكى ونصلى والقنابل تدمدم فوق رؤوسنــا ونسجد على الأرض ونحن بين مقطــوع الــذراع والســاق ومهيض القلب والفــؤاد والــدمــاء تقطــر من جراحنا .

لماذا لا يأخــذ الله على أيديهم .. لماذا لا يهلكهم . أليــس هو مجيب دعــوة المضطر إذا دعــاه ؟ ومن يصحو وينــام فى الاضطرار المستمــر مثلنا !! متى تأتى ساعة خلاصنا .

وكانت تبكى بين الكلمات وكنت أتقطع حــزنا وأسى وأنــا أسمعها وكنت أقول لها : إن الله منتقم لكم لا محالــة ، وأن عدالتــه قادمــة ولكن فى ميقاتها الذى يحدده هو .. ولله سنن ثابتة فلــو أنه عجل العقاب للمخطىء وأخذ على يد الظــالم من فوره لما كانت هناك حكمــة لآخرة ولا مناسبة لحســاب ، ولو أنه منعــه من ظلمه لما كانت هنــاك حرية لأحــد .. وهو أمر ينــافى سنة الله فى الخلق . فقد أرادنــا الله أحرارنا .. ومعنى أن نكــون أحرارا هو أن يكــون لنا هــامش تصرف نخطىء فيه ونصيب .. وهكــذا اقتضت الحرية التى أرادهــا لنا الله .. أن يسمح لنا بأن نضر وننفع .

وبمثل ما امتحنهم الله فإنه قد امتحننا نحن أيضا شعوبا وحكومات .

والامتحان مستمـــر والعلمانيون منـــا مازالوا يكتبـــون غثاء ويـــروجون غثاء ويتعبدون لقبلة انهارت قواعدها .

والذين اتخمهم الثـراء تصوروا أن ثراءهـــم سيكون مانعهم يـــوم ينزل البلاء .

والذين زرعوا قصـــورهم فى أمريكا وفرنسا وســـويسرا وأودعوا أموالهم عبرالبحر تصوروا أنها ستكون ملجأهم يـــوم تقع الواقعة .. وأنهم فى مأمن مما سيأتى به الغد .

ولكن كـارثة هـذه المرة شاملـة وهى طـامة كبرى على الإســـلام فى كل مكان .

والله يمهل هؤلاء المخططين الأذكياء ويمد لهم فى الحبل ليفضح نواياهم ويكشف فصائلهم وأجناسهم وانتماءاتهم وقبائلهم .. كما يكشفنا لأنفسنا ويمتحن إيماننا وليكتب جنده وملائكته خفـايا كل إنسان وحقائقـه .. إنه الفرز المستمر . وطاحونة البلاء هى المفرزة الكبرى .

وحينما ينتهى الفـرز ويتأكـد التصنيف ويـدون جنـود الله الكـاتبـون توجهات كل فرد مشفوعة بأعماله وأقواله حينئذ يأتى أمر الله بنصرة الذين انتصروا له وخذلان الذين خذلوا كلمتـه . وكمثل ماجاء أمر الله على قوم لوط بـالإهـلاك والفنـاء رجما ، فتـوسط النبى الأواه الحليم إبـراهيم من أجلهم لعلهم يتوبون .. فقال له كبير الملائكة : « يـاإبراهيم أعرض عن هذا .. إنه قد جاء أمـر ربك وإنه آتيهم عـذاب غير مردود » . نعم .. إنه حينـذاك سيكون الأمر غير مـردود والعذاب غير مـردود .. والشفاعـة لاسميع لها ولا مجيب ولو كانت من نبى .

ولهذا أقـول لكل من يسمع ويرى ويتـألم ، وأقول لكل من يعـانى : لا تتعجلـوا انتقام الله .. ولكن تعجلـوا مـواقفكم وتحسبوا أمـاكنكم .. ولتكن مواقفكم حيث أمر الله .

اجتمعوا على أمره وتفرقوا على أمره وكونوا ناصحين لحكامكم مرشدين لكباركم .

وحـاولـوا أن تجعلـوا من أنفسكم صفـا واحدا وليكن شعـارنـا لليـوم

وللمستقبل هو : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. فالكل متربص بالكل .

ونحن لا نعيش فى ظل نظام عالمى جـديد وإنما فى فوضـى عالميـة كاملة وفى غياب كـامل لكل المعايير ، ومجلس الأمن والأمم المتحـدة هياكل فـارغة تحكمها مصالح الأقوياء وتقودها القرصنة الأمريكية والنخبة الصـهيونية . ورغم هذا الحاضر المظلم فإنى شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموى الرهيب .

وعمـدة الأحكام عنـدنا هى كتـابنـا والله يقول فيـه : « هو الـذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣٣ ـ التوبة) .

وجاءت الآيـة مرة أخرى بنفس الصيغـة فى سورة الصف وهـى تـاسعة آيـات السـورة .. هـو إذن وعد صندق .. وهـو لم يتحقق إلى الآن ، فظهـور الإسـلام كان فى قـريش ولم يكن على الدين كلـه بل كان على أديـان الشرك المحليـة الموجـودة وعلى يهود الجزيرة ، ثم فى أيـام أبى بكـر وعمـر تخطى الجزيـرة ليـزيح وثنيـة فـارس ونصرانيـة الـروم ثم تـوقف عنـد بـوابـة القسطنطينية غربـا وبوابة الأندلس شرقا ولم يـدخل أوروبا . وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم افريقيا وكل استراليا وباق يالعالم خارج الإسلام ونفوذه .

وبين خمسة آلاف مليون من سكان العـالم هناك اليوم ألف مليون فقط من المسلمين والأربعة آلاف من الملايين البـاقية من الأديان الأخـرى .. فهو لم يظهر على الـدين كله كما فى منطوق الآيـة .. بل إن الأكثريـة الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر عليه لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية .

وإذا كان مـا نراه الآن من مذابح للمسلمين فى كل مكان بـداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإنى أعتقد أنه هنا يأتى ميقات الآية الكريمة .. فإذا انتهت هـذه القوى المتـآمـرة فى معركتهـا الفـاصلة مع الإسـلام إلى الهزيمة فإنه حينئذ سوف يظهر الإسلام على الدين كله .. لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل .

فهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذى نحن فيه ولا تتحدث عما مضى وهى لابد تتضمن فى باطنها مـواجهة شاملة ونصرا مطلقا .. وإلا فكيف

يظهر الإسلام على الدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهد من العالم كله .. إلا أن تكون هناك معركة خاتمة ونصر مؤكد يقلب الموازين ويظهر الحق .

إنه وعد إلهى إذن بنصر شامل مؤزر . ويلتقى هذا الوعد بالوعد الآخر الذى جاء فى سورة الإسراء والذى قضى الله فيه لبنى إسرائيل بأنها سيكون لها علو كبير وانها ستفسد فى الأرض مرتين وانه ستكون هناك معركتان ، ثم يصف المعركة الثانية بأنها « وعد » .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا» (أى يدخلوا القدس ويدمروا كل ما عَلاّ اليهود وكل مابنوا وأنشأوا).

ولاشك أن إسرائيل فى قلب ما يجرى وفى قلب ما يحاك من إفساد وتآمر على الإسلام والمسلمين فى هذه الأيام ، وهى رأس الحربة فيما يخطط لنا فى كل مكان . فالوعد فى الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله .. والوعد فى الآية الثانية بانتصار المسلمين ودخولهم القدس وتدميرهم لكل ما أنشأ اليهود وكل ما بنوا .. هو نفس الشىء .. والآيتان تتحدثان عن حدث واحد يأتى فى زماننا وبه يظهر شأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته .

وهذه قراءة تاريخية فى كتابنا أرجو أن تكون صحيحة فإننا نؤمن جميعا بأن وعد الله لا يتخلف لأنه سبحانه بيده مقاليد كل شىء وما يعد به ربنا لابد آت لا محالة .

وأقول لأبناء البوسنة الشجعان البواسل اصبروا وصابروا ورابطوا والحق منتصر بأهله وأبنائه وشهدائه بإذن الله ووعد الله لا يتخلف .

إنما هى البداية .. ولكل بداية نهاية .

●●●

ولن يكون ظهور الإسلام هذه المرة بعمل عسكرى من أعمال العنف ولا بانتصار وضيع ودنىء من مثل ما يفعله الصرب من فحش ونذالة بنساء البوسنة المسلمات وأطفالهن العزل .. وإنما بنصرة إليهة باهرة تنعقد لها الألسن وتخشع لها القلوب وينتهى بها الجدل ، وهذا يفسر الأثر الكلى الشامل المذكور فى الآية (ليظهره على الدين كله) هذه الكلية والشمولية لا تتأتى بالعنف ولا بالقهر ولكن بشىء يقطع الحجة وينهى

الشك ويحسم القضية ويجلى القضية .. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة ؟!

ولا نمضى فى التحديد ولا ننزلق إلى التأويل .. فهذه آيات تفسيرها حدوثها .

وعن الميقات المعلوم .. فإنى لا أظنه بعيدا ، فالحوادث التى تدفق وتتسارع بمعدلات فلكية لا تعطى فسحة لأى تراخ .. وبعد أن انكشف الدور العدوانى للصليبية اليهودة العالمية فى إشعال الفتن وتأجيج الحروب فى كل وطن إسلامى وفى محاصرة الإسلام فى جميع مظانه ، فإنه لم يعد هناك ما يدعو لانتظار .. خاصة أن المناخ السياسى ملائم وولاية كلينتون والنخبة الصهيونية حوله قد لاتتكرر .. إنها فرصة العمر إذن .. والسنوات الخمس القادمة يجب أن ينجز فيها كل شىء ، وسنة الفين ميعاد رمزى له فى التوراة رنين خاص .

ومن يعش منا هذه السنوات الخمس القادمة سوف يرى مالايخطر له على بال .. ولأن مصر لها مكان محورى فى هذه التحولات .. فسوف تحظى بحفاوة لا مثيل لها من جميع جبهات التامر .. وجميع مدفعيات الفتن موجهة إليها من الآن .

وقد رأينا كيف حاولوا ضرب السياحة والاستثمار بقنابل الرعب والمسامير ، وبموجة عارمة من الاعلام الكاذب الموجه بدأت بتلطيخ الإسلام واتهام رموزه ، وانتهت بالتحذير من السفر إلى مصر أو الاقتراب منها ، ثم صور عن الفقر والقذارة وأكوام الزبالة وأخبار عن أمراض الاسهال « وهم سبب تلك الموجات الوبائية من الاسهال بما يدخلونه من مبيدات ممنوعة ومواد رش قاتلة وحيوانات مريضة » ثم الغزو الثقافى العلمانى وإحياء مدارس الشك والتغريب .

والقنبلة القادمة حى محاولة تحطيم الذرة المصرية العجيبة فى تماسكها والتى تتآلف نواتها من بروتون إسلامى ، ونيوترون مسيحى ، والتى استعصت على التحطيم منذ محاولات الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الانجليزى .. ومازالت صامدة رغم الفتن التى تعاقبت عليها أشكالا وألوانا وآخرها محاولات جس النبض التى حدثت فى صعيد مصر وانتهت بالفشل .

وينسى الأعداء بجميع نوعياتهم .. إن المسيحية فى مصر هى مسيحية خاصة مختلفة عن مسيحية الغرب .. وإن الكنيسة المصرية لم تتحالف مع الكنيســة الأوروبيــة فى الهجمة الصليبيــة الماضيــة بل وقفت مع الجيش المصرى وحاربت الصليبيين وكسرتهم .

والوشــائج التى تجمع النصرانى والمسلم فى مصر كثيرة وعميقة . ونحن نتعايش ونتزواج ونتحارب معا منذ أكثر من ألف عام ، ويعلم النصرانى أن الإســلام يحترم العذراء الطاهــرة مــريم ، ويقــول القرآن أن الله طهــرهــا واصطفاها على نساء العالمين ، وانــه وضع ابنها المسيح مع الأنبياء الأكابر من أولى العزم ، وقال فيه انه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .. كما يعلم النصرانى المصرى أن اليهود سبــوا عيسى وقالــوا انه دجــال وابن زنا وان أمه عــاهرة وهم يكرهون اليهــود كراهية التحريم .. ولن تــدخل الصليبية اليهودية مصر أبدا .. وإذا دخلت فستدفن فيها .

ومصر ليست لبنان ولن تكون .

ومع ذلك فإنــه حتى فى لبنان وبعــد ست عشرة سنة من الحرب الأهليــة اليت ســاندتها فــرنســا وأمريكــا وأوروبــا والفــاتيكان فشلت الصليبيــة اليهودية فى أن تصل إلى أهدافها فى تقسيــم لبنان وتغيير التركيبة السياسية فيها ، وعــادت لبنان الجريحة كما كانت وبنفــس النسبة القديمــة فى جهاز الحكم من المسيحيين والمسلمين ، ورأينــا نحن هنــا من فظائع هــذه الحرب الأهلية وعدم جدواها مــا يجعلنا نحذر ألف ألف مرة المسلم والمسيحى معا هذه الفتنة وأن نحاربها صفــا واحدا بكل ما نملك من إرادة وتصــميم ، وهم فى هــذه الأيــام يجمعــون التبرعــات فى أمــريكــا بــاسم الكنيســة المصريــة المضطهــدة ويسربــون المنشــورات عن دولة قبطيــة مستقلــة فى الجنــوب عاصمتهــا أسيوط والجولة القادمــة هى تكريس هذه الفتنــة .. بضــع قنابل ورصاصات طائشــة مأجورة يسقط فيها قتلى من المسيحيين .. على أمل أن تــرتفع شكــوى من نصــارى مصر إلى الأمم المتحــدة من ظلم المسلمين وعدوانهم .. تعقبها قرارات بحظــر الطيران على خط عرض أسيوط .. ويبدأ التفتيت .

ولن تحقق تلك الأحلام .. لأنها أحلام دنيئة يروجها لؤم صهيونى أشد منهـا دناءة .. ولـن يحدث ذلك التحالف أبـدا بين قبط مصر ، وبين اليهـود الصـهـاينة الـذين يعلم القبط من إنجيلهم أنهم أشد عـداوة لهم ولمسيحهم من الشيطان نفسه .

ولكن سوف تحدث المحاولة ولا أستبعدها .

وعلى كل مسئول أن يفتح عينيه جيدا ويـرسل جواسيسه ويسبق رياح الفتن قبل أن تهب .

ولقد ضحك الصهاينة على المسيحيين فى أمريكا وأقنعوهم بنبوءة كاذبة بأن المسيح لن ينزل من السماء إلا بعد ذبح المسلمين فى معركة هرمجدون، وكـونوا فـرقة إنجليـة أمريكيـة تروج لهذا الإفك وتجمع التبرعـات لمعركـة هـرمجدون القادمـة « يقولـون إنها سوف تحدث فى فلسطين فى السنـوات القليلة القادمة » وقـد وقفت الكنيسة المصرية ضد هذه الفـرية وحذر الأنبا شنودة من اتبـاعها .. وقـد عرفنا المسيح نبيـا داعيا إلى المحبـة ولم نعهده سفاحا داعيا إلى مجزرة .

ولكن اللؤم الصهيونى لا تنتهى حيله .

وهم فى انتظار المسيخ الـدجال الـذى سوف ينـزل على جبل صـهيون ، ويأتى بالخوارق ويصنع الأعاجيب .

والمسيخ الـدجال شخصيـة موجـودة فى كتبنا وهى واردة فى أحـاديث الرسـول عليه الصلاة والسلام ، وهـو ساحر يستعين بـالجن والشياطين وعلـوم الكـابـالا « العلـوم السريـة السفليـة لليهـود » ويأتى بـالخوارق والعجائب .. وهـو يجىء فى آخر الزمان ويتبعـه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقى ويقتله .

والمجىء الثـانـى للمسيح وردت بـه إشـاربات فى القـرآن والكثير من المسلمين يؤمنون به ..

ولا شك أن نـزول المسيح بشخصه وشهـاداته على الملأ بمن هـو ومن يكون .. هل هو ابن الله أو عبد الله ، وبحقيقة ما حدث فى شبهة الصلب وبمن

كان لـه ختم النبوة ومـا شريعته التى يأمـر بها « وجميع الأنبياء فى قـرآننا مسلمـون من آدم ونوح وإدريس إلى مـوسى وعيسى ومحمـد .. وجميعهم على عقيدة لا إله إلا الله ودينهم التوحيد المطلق » .

أقول إن شهـادة المسيح بشخصه لمحمـد عليه الصـلاة والسلام ربما تكون هى المشار إليها فى إظهار الدين بـالكلية والشمولية والعمومية التى تقطع الحجـة وتنهى الشك وتحسم القضية فى الآيـة التى بدأت بها الكـلام والله اعلم .. وقد تكـون المواجهة مشهديـة بل يمستوى جيـوش تأتى فيها النصرة بشكل بـاهـر يتحـدى جميع التـوقعـات ويلجم الألسن .. والكيف والمتى عند الله هو وحده العالم بهما .. ولكـن النصرة قادمة وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقية قرآنية لاشك فيها .

ولا أحب أن أحملكم على جناح الغيب وأتوه بكم فى الظنون بينما الحرب معلنة علينـا فى الواقع والأعداء يحتشدون لنـا ويتكاثرون علينا ويـزرعون الشوك والألغام والموت فى طريقنا . وأقـول نفتح عيوننا على الواقع أفضل .. ونستعد بكل مـا نملك لنخوض هـذه اسنوات العجـاف ، وتعقد عهـد أخاء ومحبـة نصارى ومسلمين بـأن نحارب معـا كل من يمس شبرا واحـدا من أرض مصر ، وكل من يتعدى على قطرة من نيلها .. ويكون هذا ميثاق الوقت الذى نعاهد الله عليه .. والله معنا ما دمنا يدا واحدة .

●●●

ويسألـوننى لماذا كل هـذه الثقـة بانتصـار الإسـلام رغم تخلف أهلـه وانقاسمهم وفقـرهم ومهانتهم وجهلهـم ، ورغم أنهم بلا سيف وبـلا قوة وبلا سند ورغم كل هذا الظلام المطبق الذى لا يبدو فيه خيط نور .. فأقول لهم : نعم .. سيف الإسـلام الآن مكسور وأهلـه متخلفـون وجهلة وفقـراء ومنقسمـون ، ولكنه مع ذلك يـا أخـوة ورغم ذلك ينتصر الإسلام ويغـزو القلـوب وينتشر فى كل بقـاع الأرض بل وفى قلب بـاريس ولنـدن وبـرلين ونيويـورك ، يتقدم كل يـوم أجانب لشيوخ المسـاجد هنـاك ، ويطلبون أن يسلموا ويتعلمـوا أركان الإسلام .. هكـذا ببساطـة .. ونقرأ عن كتب تخرج

مـــــن قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه .. وآخرها كتاب مراد هوفمان السفير الألمانى الذى أسلم واختار عنوان كتابه :

« الإسلام هو الحل البديل » .. ومن قبله جارودي الذى جاء إلى الإسلام من قلعــة الشيوعيــة ، وكتب عشرات النشرات والكتب .. ومن قبله مــوريس بوكــاى وليوبولدفــايس ، وغيرهم وغيرهم .. وهذه معجزة الإســلام .. فهو يتقــدم وينتصر بقوتــه الذاتيــة ويحدث هذا فى أشــد أحوال المسمين تأخــرا وانحطاطا .

وقد انتصر صــلاح الدين الأيــوبى على الصليبيين وكانــت مصر فى أسوأ أحــوالها . وانتصر قطــز على التتار وكــانت المماليك شراذم تقــاتل بعضهــا بعضا.

إن الإســلام له سر ربــانى وله سلطــان فى ذاته وهــذا ما يجعل أعــداءه المسلحين حتى الأسنان يــرتجفون منه رعبــا ويحسبون لــه ألف حساب وقتل المسلمين يــا أخــوة شيء آخــر تمامــا ولا يعنى أبــدا قتل الإســلام .. والمسلمون أكثــرهم موتى بالفعــل وكل ما يستجد أن مــوتهم يعلن .. وهذا أمــر هــامشى تمامــا ، فمن مــات الإســلام فى قلبــه لا يــدخل تحت تعــداد المسلمين، أما من يحيــا الإسلام فى قلوبهم فــلا خوف عليهم ولا سبيل لأى سلطان فى الأرض عليهم .

والعــــالم مقبل ولاشك على منعطف خطير من التحــــولات .. ولا أظن أن زيارة بابــا الفاتيكان لأمريكــا كانت لإنشاد التراتيل . فالــرجل سياسى من الــدرجةالأولى وهــو لا يــرى فى سقوط الشيــوعيــة فى روسيا صحــوة لكل الأديــان بل يراهــا صحوة واجبــة لديــن واحد هــو المسيحية الكــاثوليكيــة والرجل مخلص على طــريقته . ومــا جاء الرجل لأمــريكا ليضــع ســلاما بين الأديان بل ليضع سيفــا ، وأموال الفاتيكان تنفق حاليــا فى تسليح الكروات وكــانت من قبل تنفق فى تسليح كــاثــوليك لبنان فى الحرب الأهليــة ، وهــذه الأخبار ليست من عندى بل رددتها وكالات الأنباء مرارا وتكرارا .

أقول هــذا الكلام لأســاقفة العلمانيــة فى بلادنــا الذيــن يقولــون نطرح الأديان وراء ظهــرنا ونحل مشاكلنا بأسلــوب علمى لا دينى .. وأقول لهم : أفيقوا من خبالكم .. أننا مقبلون على جهنم .. وادعو الله ألا ينجرف نصارى

مصر فى هذا التيـار العنيف المدمر .. وأن تكـون مصر فى عيوننـا جميعا وأن تكون لـوحدة مصر الأولوية عى كل اعتبـار ، فمصر فى ذاتها قيمة .. ومصر هى مهبط الرسـالات وكعبـة التوحيد وهى فى عين الله وفى رعايته وقـد ذكرها الله بالاسـم وبـالإشـارة فى قرآنـه أكثر من أربع عشرة ، مرة وقـد كانت مصر رمزا دائما للتعـايش بين الأديان وللتسـامح والسلام .. فحـافظوا على مصر من أجلكم أنتم ومن أجل القيم التى تدافعون عنها .